

الجزء الثاني ، المحاضرة الرابعة
نصٌ تطبيقيٌ قصيدة لا تعذليه لابن زُرَيْق
البغدادي
د. إسراء صفية





قصة القصيدة

كان للشاعر ابن زريق ابنة عم قد كلف بها أشد الكلف، ثم ارتحل عنها من بغداد لفاقة أصابته، فقصد عبد الرحمن الأندلسي في الأندلس، ومدحه بقصيدة بليغة، فأعطاه عطاءً قليلاً، فقال ابن زريق: إنا لله وإنا إليه راجعون، سلكت القفار والبحار إلى هذا الرجل فأعطاني هذا العطاء، ثم تذكر فراق ابنة عمه وما بينهما من بعد المسافة مع ضيق ذات يده، فاعتن غمًا ومات.



لا تعدُّليه





عن القصيدة:

هذه الأبيات من قصيدة لابن زريق البغدادي الذي تُوفي في القرن الخامس الهجري، وتنتمي هذه القصيدة إلى الشعر الذي يخرج من القلب إلى القلب؛ شعر يمتلئ بالحب والألم والفراق والحنين، والذي خلد القصيدة هو صدق المشاعر وواقعية التجربة، فهذا شاعر خرج من بغداد إلى الأندلس سعيًا في طلب الرزق، وترك وراءه حبيبته التي تشفعت به ألا يفارقها، وتشبّثت به يوم الرحيل، لكنّه أصرّ على السفر، فذاق الآلام التي قضت عليه فمات حزنًا وحنينًا وكمدًا.

في القصيدة ثلاثة مواقف: الأوّل هو الحديث عن اللوم، والثاني عن تجربة الفراق وآلامها، والثالث عن الرجاء باللقاء والاستسلام لقضاء الله.

لَا تَعْذِلِيهِ فَإِنَّ الْعَذْلَ يُؤْلَعُهُ

جَاوَزَتْ فِي نَصْحِهِ حَدًّا أَضَرَّ بِهِ

فَاسْتَعْمَلِي الرِّفْقَ فِي تَأْنِيْبِهِ بَدَلًا

قَدْ كَانَ مُضْطَلَعًا بِالْخُطْبِ يَحْمِلُهُ

يَكْفِيهِ مِنْ رَوْعَةِ التَّفْنِيدِ أَنَّ لَهُ

مَا آبَ مِنْ سَفَرٍ إِلَّا وَأَزَعَجَهُ

كَأَنَّمَا هُوَ مِنْ حَلٍّ وَمُرْتَحِلٍ

إِذَا الزَّمَانُ أَرَاهُ فِي الرَّحِيلِ غَنَى

قَدْ قَلَّتْ حَقًّا وَلَكِنْ لَيْسَ يَسْمَعُهُ

مِنْ حَيْثُ قَدَّرْتُ أَنَّ النِّصْحَ يَنْفَعُهُ

مِنْ عَذْلِهِ فَهُوَ مُضْنَى الْقَلْبِ مُوجَعُهُ

فَضَلَّعَتْ بِخُطُوبِ الْبَيِّنِ أَضْلَعُهُ

مِنْ النَّوَى كُلَّ يَوْمٍ مَا يُرْوَعُهُ

رَأَيْتُ إِلَى سَفَرٍ بِالْبَيِّنِ يَجْمَعُهُ

مُؤَكَّلَ بِفَضَاءِ اللَّهِ يَذَرَعُهُ

وَلَوْ إِلَى السِّنْدِ أَضْحَى وَهُوَ يُزْمَعُهُ



إنشاد
أحمد
النفيس

كان مُضْطَلَعًا

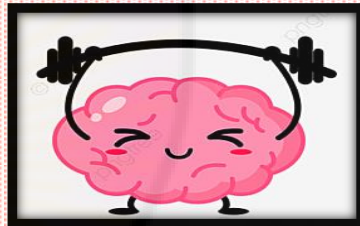
هو مضني القلب موجهه

قدّرت أنّ النَّصح ينفعه

إنّ العذل يولعه

أضحى وهو يزعمه

كأنّما هو من حلّ ومرتحل
موكل



يكفيه أنّ له من النوى ما
يُروعه



ليس يسمعه



للرزق كدًا وكم ممّن يودعه
رزقًا ولا دعة الإنسان تقطعه
لم يخلق الله من خلق يضيّعه
مُسْتَرْزَقًا وَسِوَى الغَايَاتِ تُقْنَعُهُ
بَغْيٍ أَلَا إِنَّ بَغْيَ الْمَرْءِ يَصْرَعُهُ
إِرْثًا وَيَمْنَعُهُ مِنْ حَيْثُ يُطْمَعُهُ
بِالْكَرْخِ مِنْ فَلَكَ الْأَزْرَارِ مَطْلَعُهُ
صَفْوُ الْحَيَاةِ وَأَنِّي لَا أودعه

تأبى المطامع إلا أن تُجَشِّمه
وما مُجَاهِدَةُ الْإِنْسَانِ تَوْصِلُهُ
قَدْ وَزَّعَ اللَّهُ بَيْنَ الْخَلْقِ رِزْقَهُمْ
لَكِنَّهُمْ كَلَّفُوا حِرْصًا فَلَسْتَ تَرَى
وَالْحِرْصُ فِي الرِّزْقِ وَالْأَرْزَاقِ قَدْ قُسِمَتْ
وَالدَّهْرُ يُعْطِي الْفَتَى مِنْ حَيْثُ يَمْنَعُهُ
أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ فِي بَغْدَادَ لِي قَمَرًا
وَدَعْتُهُ وَبُوْدِي لَوْ يُودِعُنِي



لست ترى

لكنّهم كلّفوا حرصاً

ولا دعة الإنسان تقطعه

ما مجاهدة الإنسان توصله
رزقاً

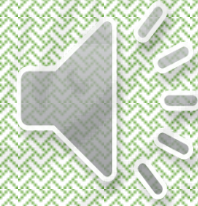
من فلك الأضرار مطلعته

والدّهر يعطي الفتى

إنّ بغي المرء يصصره

والحرص في الرزق والأرزاق
قد قسمت بغي

أنّي لا أودعه



وللضرورات حال لا تُشفعه

وَأَدْمَعِي مُسْتَهْلَاتٍ وَأَدْمَعُهُ

عَنِّي بِفُرْقَتِهِ لَكِنْ أَرْقِعُهُ

بِالْبَيْنِ عَنْهُ وَجُرْمِي لَا يُوسِّعُهُ

وَكُلُّ مَنْ لَا يَسُوسُ الْمُلْكَ يُخْلَعُهُ

شَكَرٍ عَلَيْهِ فَعَنْهُ اللَّهُ يَنْزِعُهُ

كَأَسَا أُجْرَعُ مِنْهَا مَا أُجْرَعُهُ

الذَّنْبُ وَاللَّهُ ذَنْبِي لَسْتُ أَدْفَعُهُ

لَوْ أَنَّني يَوْمَ بَانَ الرُّشْدُ أَتْبَعُهُ

وَكَمْ تَشْفَعُ بِي إِلَّا أَفَارِقَهُ

وَكَمْ تَشَبَّثَ بِي يَوْمَ الرَّحِيلِ ضَحَى

لَا أَكْذِبُ اللَّهَ ثَوْبُ الصَّبْرِ مُنْخَرَقٌ

إِنِّي أَوْسَعُ عُذْرِي فِي جَنَائِيَتِهِ

رَزَقْتُ مُلْكَاً فَلَمْ أَحْسِنْ سِيَاسَتَهُ

وَمَنْ غَدَا لَا بِسَاءَ ثَوْبَ النِّعَمِ بِلَا

إِعْتَصْتُ مِنْ وَجْهِ خَلِيٍّ بَعْدَ فُرْقَتِهِ

كَمْ قَائِلٍ لِي ذُقْتَ الْبَيْنَ قُلْتُ لَهُ

إِلَّا أَقَمْتُ فَكَانَ الرُّشْدُ أَجْمَعُهُ



إِنِّي أَوْسَعُ عَذْرِي

ثوب الصبر منخرق

أدّمي مستهلات

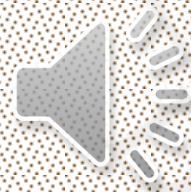
للضرورات حالٌ

الدّنب والله ذنبي

غدا لا بساً

كلُّ من لا يسوس الملك
يُخلعه

جرّمي لا يوسّعه



أنني يوم بان الرشد أتبعه

كان الرّشدُ

لست أدفعه



بِحَسْرَةٍ مِنْهُ فِي قَلْبِي تُقَطِّعُهُ

بِلَوْعَةٍ مِنْهُ لَيْلِي لَسْتُ أَهْجَعُهُ

لَا يَطْمَئِنُّ لَهُ مُذْ بِنْتُ مَضْجَعُهُ

بِهِ وَلَا أَنَّ بِي الْأَيَّامَ تَفْجَعُهُ

عَسَاءَ تَمْنَعُنِي حَظِّي وَتَمْنَعُهُ

فَلَمْ أَوْقِ الَّذِي قَدْ كُنْتُ أَجْزَعُهُ

آثَارُهُ وَعَفَّتْ مُذْ بِنْتُ أَرْبَعُهُ

أَمْ اللَّيَالِي الَّتِي أَمْضَتْهُ تُرْجَعُهُ

إِنِّي لَأَقْطَعُ أَيَّامِي وَأَنْفِدُهَا

بِمَنْ إِذَا هَجَعَ النَّوَامُ بَتْ لَهُ

لَا يَطْمَئِنُّ لِحَنْبِي مَضْجَعُ وَكَذَا

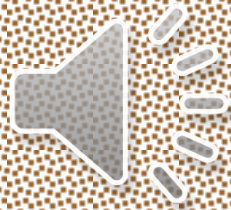
مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ الدَّهْرَ يَفْجَعُنِي

حَتَّى جَرَى الْبَيْنُ فِيمَا بَيْنَنَا بَيِّدِ

قَدْ كُنْتُ مِنْ رَيْبِ دَهْرِي جَارِعًا فَرِيقًا

بِاللَّهِ يَا مَنْزِلَ الْعَيْشِ الَّذِي دَرَسْتُ

هَلْ الزَّمَانُ مُعِيدٌ فَيْكَ لَدُنَّا



أَنَّ الدهر يفجعني

ما كنت أحسب

لست أهجعه

إنِّي لأقطع

أم الليالي التي أمضته
ترجعه

هل الزمان معيْدٌ

كنت من ريب دهري جازعًا
فرقًا

أَنَّ بي الأيام تفجعه



وَجَادَ غَيْثٌ عَلَى مَغْنَاكَ يُمِرُّهُ

كَمَا لَهُ عَهْدٌ صِدْقٍ لَا أُضِيعُهُ

جَرَى عَلَى قَلْبِهِ ذِكْرِي يُصَدِّعُهُ

بِهِ وَلَا بِي فِي حَالٍ يُمَتِّعُهُ

فَأُضِيقُ الْأَمْرَ إِنْ فَكَّرْتَ أَوْسَعُهُ

جِسْمِي سَتَجْمَعُنِي يَوْمًا وَتَجْمَعُهُ

لَا بَدَّ فِي غَدِهِ الثَّانِي سَيَتَّبَعُهُ

فَمَا الَّذِي بِقِضَاءِ اللَّهِ نَصْنَعُهُ

فِي ذِمَّةِ اللَّهِ مَنْ أَصْبَحَتْ مَنَزَلُهُ

مَنْ عِنْدَهُ لِي عَهْدٌ لَا يُضِيعُهُ

وَمَنْ يُصَدِّعْ قَلْبِي ذِكْرُهُ وَإِذَا

لَأَصْبِرَنَّ لِدَهْرٍ لَا يُمَتِّعُنِي

عِلْمًا بَأَنَّ إِصْطِبَارِي مُعَقَّبٌ فَرَجًا

عَسَى اللَّيَالِي الَّتِي أَضْنَتْ بَفُرْقَتَنَا

وَإِنْ تَغُلَّ أَحَدًا مِنَّا مَنِيئُهُ

وَإِنْ يَدُمُ أَبَدًا هَذَا الْفِرَاقُ لَنَا



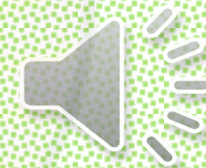
أضيق الأمر إن فكرت أوسع

علماً بأن اصطباري مُعقب
فرجاً

عنده لي عهد لا يضيعه

في ذمة الله مَنْ أصبحت
منزله

عسى الليالي التي أضنت
بفراقتنا جسمي .. ستجمعني
يوماً





شكرًا لحسن إصغائكم

